مختـارات شـعرية

يادولة الحب

يا حـــائلا بين الفلـــو ب ووائد القلـــب الطـــروب
هـــلا عـــرفت بأنـــه من فـــرط تعذيب يـــذوب
دعـــه ولا تفتـــك بـــه ما الحـــب إلا للحبيـــب
أخطـــأت فى بدء الهـــوى والمـــرء يخطئ أو يصيـــب
وسكـــت فى إبـــانه حتى بـــدا منـــه الدبيـــب
ثـــم انتبهـــت تصـــده ووقفت كالأســـد الرعيـــب
هيهـــات :لا يسلو الهـــوى قلـــب تلظـــى باللهيـــب
أو تستعيـــد رشـــاده واسم الحبيب له وجيـــب
يا دولة الحـــب اشهـــدى هـــل فى المحبـــة من معيب
واسترجعى التـــاريخ بل قصـــى أحـــاديث النسيـــب
تجـــدى هنـــاك ممـــالكا كـــانت تساس على قلـــوب
فـــدع الأحبة والهـــوى فالكـــل منـــه له نصيـــب
وامسح بكفك دمعـــة من طرف محـــزون كئيـــب
وارحم فـــؤادا جمعت فيـــه المصـــائب والكـــروب
أى الخطـــوب أشد من حـــرمانه أى الخطـــوب ؟
أى الذنوب جنى فيحرق قلبـــه أى الذنـــوب ؟

إنى أموت . . .

أكذا جزاء الصبر والكتمان ... أنى أهدد منك بالحرمان
أو بعد ماأرسلت روحى فى الدجى ... ورأيت قلبى فى أسى وهوان
وعرفت أنى فى هواك معذب ... لا ترأفين بعاشق ولهان
إنى سألتك فى حياتى حاجة ... لتكون لى عوناً على أحزانى
فمنعتها عنى وزدت تدللا ... قومى إذا لتهيئى أكفانى
فلو ان قلبك لا يرق لحالتى ... فا لفرقدان على ينتحبان
أو أن جسمك لايذوب من الأسى ... فالأهل والأخوان فى ذوبان
أو أن جفنك لا يفارقه الكرى ... فترفقى بالموجع السهران
أو أن عينك لا تجود بدمعها ... فلدمع فى ناديك أحمر قانى
أو أن مخلوقاً يبلغ لوعتى ... حملت أسراب القطا أشجانى
أختاه ساعات الحياة قصيرة ... معدودة بدقائق وثوان
تفنى النفوس وكل حى هالك ... إلا هواك فذاك ليس بفانى
نوحى على ولا تضنى بالبكا ... فأنا قتيل الهجر والسلوان
أختاه لا تنسى إذا ذكر الهوى ... أن تذكرينى بالهوى الروحانى
وإذا ضممت إليك غيرى فارحمى ... وتذكرى روحى وكيف تعانى
إنى أموت ولست أرغب فى الدنا ... مـ دام قلبك صدنى وجفانى
فإذا مررت على القبور فناحى ... فعسى سلامك فى البلى يلقانى
وقفى على قبرى وقولى ها هنا ... دفنت بغدرى فى التراب أمانى
وضعى الزهور عليه إن دفينه ... فى العيش كان يميل للريحان
وترفقى فهناك فى ثوب البلى ... زين الشباب وزينة الشبان

وإذا مشيت فلا تدكى فى الثرى فالقلب تحت الترب فى خفقان
وإذا أويت إلى المضاجع فاذكرى فى القبر كيف يكون للإنسان
وإذا أكلت تريثى وتذكرى ما كنت أوثره من الألوان
وإذا أدرت كؤوس صفو فاعلمى أنى قضيت العمر فى أحزان
كم كان يشبعنى ويشفى غلة منى بقية رحمـــة وحنان
لكن قسوت فكان حبك قاتلى وأصبتنى بأســنة الهجران
وسألتنى والله يعلم أننى وقت السؤال مشتت الوجدان
هل ذاك حق ما تقول وهل وهل قاسيت فى حبى وهل تهوانى
فصعقت من هول السؤال وما به عد المعذب من بعيد معانى
ووقفت لا أبدى جوابا حائرا وأخذت أحبس مدمعى ولسانى
لكننى أخفقت من هول الأسى مع من بعد الخضوع عصانى
فتركته حراً يسيل مخبراً والدمع أفصح منطقى وبيانى
(تسعين شهراً) قد حبست مسيله فدعيه يطفئ حامى النيران
واستغفرى الله العظيم لعله من فضله يأتيك بالغفران
وتمسكى بالعهد فهو مقدس أوصى به الرحمن فى القرآن

مناجاة القمر

أفضى الصديق بحبه وبكا لى ... وبدا يردد حسن ذات الخـال
والبدر قد شق الظلام بنوره ... والليل من نسج الطبيعة حالى
فأجبته والثغر منى باسم ... مالى وللقلب المعذب مالى
فأدار وجهاً للسماء مناجياً ... بدر اسماء بهذه الأقوال
يابدر هل تظل على الورى ... بجمالك المعهود غير مبال(١)
والناس من ذل الحياة وهمها ... أيامهم قد بدلت بليال
يابدر قد ذكرتنى بمواقف ... ولت وعهد لى قديم بال
يابدر كم شاركتنى فى اللذة ... وسطعت نورك فوق عرش خيالى
وكشفت عن وجه جميل مشرق ... ومزجت حسناً فائقاً بدلال
وشربت من ثغر الحبيب مدامة ... ولثمت كأساً رصعت بلآلى(٢)
والآن خبرنى أتطلع فى غد ... وتفيض نورا فوق خل سال
أو فوق محزون الفؤاد معذب ... قاسى الصعاب ولم يفز بوصال
يابدر لا تطلع بحق مودتى ... إلا على أمل من الآمال
يابدر مالى غير وجهك سلوة ... فاسمع لقولى واستجب لسؤالى
يابدر خبرنى عن القوم الألى ... نقضوا العهود وقطعوا أوصالى
يابدر أنت على القلوب مطلع ... فتش هنالك عن قتيل نبال
وابحث هنالك عن أسير صبابة ... أمسى رهين شماتة العذال
قل لى : أدمع الليل أم هى دمعة ... أرسلتها أم هل رثيت لحالى

---

(١) هذا البيت والأبيات قبله وجدتها فى ورقة منفصلة ، وقد أضفتها لهذه القصيدة للمناسبة التامة بينهما وبين الأبيات .

(٢) هذا البيت وجدته فى قصاصة ورق وهو مناسب لمكانه هذا من القصيدة .

القسم

قسماً بثغرك والعيون السود ... ما خنت يوماً فى الغرام عهودى
لكن وأدت الحب بين جوانحى ... يالوعتى من ذلك الموءود
وحملته فرداً وعشت معذباً ... وقبلت كل تدلل وجمود
وكتمت أشواقى سنين عديدة ... وصبرت صبر اليائس المنكود
حتى خشيت عليك عاقبة النوى ... أن تأخذينى فى ثياب صدود
فبحثت عن قلبى وكنت فقدته ... بين المواجع والليالى السود
وبعثت أنفاسى وأثر بريقها ... فتشت حتى عدت بالمفقود
وأخذت أرقب فرصة أحظى بها ... حتى حظيت بيومك المشهود
إن أنس لاأنسى غداة لقيتنى ... فى مأمن من عاذل وحسود
وتنهدات منك تتلو بعضها ... وتأوهات مثل دق العود
وأجبتنى من بعد صمت قاتل ... بكليمة معسولة بوعود
قلبى وقلبك فى الغرام تعاقدا ... كفى وكفاك والسماء شهودى
فلئن سمعت بأننى متنقل ... فسلى غرامك كيف فك قيودى
ماذا جنيت فتفتكين بمهجتى ... وتقلبينى من أسى لجحود
إنى سئمت من التباعد والجفا ... ومرضت هلا للمريض تعودى
والآن أختم ما أقول مردداً ... جودى بوصلك ياحبيبة جودى

فى روضة القصر

بالأمس قبل شروق الشمس هيجنى ... صوت ضعيف حزين خافت فان
فقمت منزعجا ألفيته ذكرا ... من اليمام كثيبا رأسه وان
وجدته واقفا يبكى أليفته ... فى روضة القصر بين الآس والبان

يقـــول تبا لدهرى حين أبعدنى ... عنها وأبعـــد عنى خير خلانى
وفوق غصن قريب مائس وقفت ... يمـــة صـــوتها الصداح أكانى
سمعت بينهما عتبـــا ســـأذكره ... مدى الحيـــاة وأرويه لأخوانى

الذكر

الله أكبر مـــا لله مـــن ثـــان ... ولا عن الحب لى مله ولاثـــان
أعالج النـــوم فى ليـــلى فيمنعه ... فيض الغروب وتسهيد بأجفانى
ومـــا دعانى إلى نومى سوى أملى ... فى ٱن طيفك يصبو لى فيلقانى
يازهرة فى رياض الحسن يانعة ... أشكو إليك بتغريد وتحنـــان
جنت على لحـــاظ منك فاتنة ... فالله يقسط لى من لحظك الجانى
ما أنت يابهجة الدنيا سوى مالك ... فاستعملى الرفق فى إنس وفى جان

الأنثى

أواه منك ومن قلبى ومن زمنى ... هجر وصبر وإشعال لنيرانى
مضيت بعض شهور كلها أمل ... يضىء لى كلما تشتد أحزانى
والآن أصبحت لاشىء يعللنى ... ولا سمير سوى دمعى وألحانى
أبيت أبكى ولا خل يؤانسنى ... ولا رحيم يواسى قلبى العانى
يامن إذا متمن وهم ومن ألم ... ورن تغريده فى الحى أحيانى
لك القلوب، ولى قلب يذوب فما ... هنئ الكروب ألا رفقاً بأشجانى

الذكر

الهجر منك ، ومنى الحب أحمله ... والغدر منك ، ومنى دمعى القانى
منك الصدود ، ومنى الشوق متصل ... كيف السبيل إلى ترك وسلوان

أنت البقاء لروحى والفناء لها فعجلى بوصال أو بهجران
وجاهرى لا تخافى لوم لائمة فحبنا — غير حب الناس روحانى
وخبرينى متى البشرى لأرقبها ونبئينى بطرف ناعس رانى
لأنزع الحزن من قلبى وأدفعه عنى وأعلم أن الدهر أعطانى

فأقبلت نحوه تهتز من طرب ويما العش فى تيه ورضوان

هذى جروحى

هذى جروحى من دام ومندمل ما أضيع المرء بين اليأس والأمل
أصبحت حيران لاقربى يعللنى ولا فراقى على وجدى بمحتمل
ألقيت فى اليم عرضى غير راحمة وكنت أخشى على عرضى من البلل
وهاجنى منك أن أرمى بلا سبب بخادع ماكر يغويك بالحيل
فاستغفرى الله من ذنبى وماغرست يداك فى مهجتى من أروع العلل

لمـاذا . . .

قفى قبل الوداع وخبرينى أبعد مرير صبرى تهجرينى
وبعد مودتى زمنا طويلا وتعذيبى لأجلك تغدرينى

لمـاذا يا لسان عصيت قلبى وبحت بذلك السر الدفين
وكيف جريت يا دمعى هتونا على خدى تنبى باليقين
يمينا لا أخون العهد عمرى ولا أنسى يمينك فى يمينى

القبلة الحارة

يا قلب كيف جمعت وقت عناقها ... نار الهيام وجنة التقبيل
ومزجت بين حلاوة ومرارة ... رشف الرضاب وحسرتى لرحيلى
يا عقل كيف بقيت بعد فراقها ... وأنرت فى الليل البهيم سبيلى
واسطعت أن تلقى سعادة ضمها ... بعد القنوط وبعد طول عويلى
فى لحظة نفرت وعادت بالرضا ... كيف استطعت تحمل التحويل
عادت إلى وسلمت لما رأت ... ذل الغرام يصيب غير ذليل
العطف والإشفاق من أخلاقها ... والله ميزها بكل جميل
يا طرف قل لى هل رأيت جمالها ... وقت العناق وساعة التدليل
أم هل بهرت فما نظرت لحسنها ... وشغلت بالتكبير والتهليل
الله أكبر والعيون تقابلت ... والدمع للأحباب خير دليل
والقلب يخفق واللسان معطل ... والثغر يلهو باللمى المعسول
قالوا شفاؤك نظرة من طرفها ... هيهات تشفى علة بعليل
لك يا جميلة فى الفؤاد محبة ... تزرى بحب « كثير » «وجميل»
سجلت بالتقبيل حبك فى الحشا ... وملكتنى من ساعة التسجيل
لا تمنعى عنى لماك فإننى ... لم أشف بعد من الشفاه غليلى

أأموت

أأموت قبل تمتعى بلقاك ... يا من رضاى موكل برضاك
من ورد خدك أم ورود لماك ... أروى فؤاداً صاده سهماك
قسما بمن بالحسن قد حلاك ... « لا أنت شاكية ولا أنا شاك»

أو كلما اخفى عليك هواك ... وأغض طرفى عندما ألقاك
تلقين فى سبلى دقيق شباك ... فتصيدنى وأبيت دون حراك
يا من بليت بحبها رحماك ... أتراك مشفقة على تراك
رفقا بمن قدصار من أسراك ... ما أضعف الأسرى وما أقواك

قد ضاع قلبى

أأبيت فى ضنى وسهاد ... ويبيت طرفك فى نعاس هادى
وأنوح فى جوف الظلام مرددا ... إسما يرجعه وجيب فؤادى
وأجود بالقلب المنيع مسلما ... وأرى فؤادك فى هدوء عادى
وأموت ظمآنا وعندك حاجتى ... ويضيع صفو أنت فيه عمادى
قد كنت ذا صبر وعزم صادق ... وتعقل حتى أضعت رشادى
إنى سألتك قبلة فمنعتها ... فرضيت من لطفى بلثم أيادى
فسلى يمينك يوم أن قبلتها ... عن حر أنفاس الصريع الصادى
فأنا العزيز أذلنى حكم الهوى ... وخضعت بعد تشبثى وعنادى
وأسرت فى حرب الغرام مسلما ... لك ياحبيبة فى الغرام قيادى
ونظمت آهاتى نشيدا داميا ... على لسمعك موصل إنشادى
قد ضاع قلبى فى هواك وروعت ... كبدى وناحت لى طيور الوادى
وغدت تعزينى وتذرف دمعها ... لما لبست على الفؤاد حدادى
إن الجماد يلين مما حل بى ... يا ليت شعرى هل يلين « جمادى »

ياغدير

حتام تهدر ياغدير وإلام فى رفق تسير
تمشى هنا وهنـــاك تـــر وى كـــل منظوم نضير

وحـويت آيـات الجمـا ل وزادك البـدر المنـير
منك الحيـاة بأسرهـا سـبحان خالقك القـدير
قد هجت مكنون الهـوى وفتكت بالقلب الكسـير
فبعثـت صـوتى بالحنـين ورجع الصوت الخرير
ووقفـت أذكر ما مضى وأجـود بالدمع الغـزير
وقـد استعدت الذكريـا ت البيض فى العهد القـرير
عهـد البشاشـة والنضـارة والهـوى العـذب الطهـور
قـل لى بحـق مـودتى ماذا يكـون لى المصـير
هـل لى على بعـد الحبيبـة من ولى أو نصـير
هى فى نعـيم دائـم وأنا المعـذب فى السـعير
بك أسـتجير من النـوى فاسـمع نـداء المستجير
وإذا مـررت بحيهـا فاذكر لهـا همى الكثـير
هم أبعـدوا عنهـا خيـا لى ، والنـوى صعب مرير
أدعـو عليهم ما بـكى فى الليـل مكلـوم حسـير
وإذا شـكوت فإن لى ربا على الشـكوى بصـير
ما لى إذا ذكر اسمهـا قـلبى يكاد لهـا يطـير
وأكـاد أنطـق بالـذى كم ظـل فى طى الضمير
منى عليـك تحيـة ما غردت حـولى طيـور

أشكو ...

أشكو . . لمن أشكو ألم مسيطر فوق الفؤاد فؤاد من لا يعذر
أبكى . . لمن أبكى وهل لمدا معى أن تستحيل نواطقـا فتعبر

حاولت

حاولت إخفاء الهـوى فعصانى ... قلبى ودمعى ، ناظرى ولسانى
ما كنت أعهد قبل حبك أن أرى ... نفسى رهينـة ذلة وهـوان
يا من اتخذت من الجمال صوارما ... رحماك يا ذات الجمال الجانى
دمعى يسيل وأنت دمعك جامد ... والقلب عندك قُدَّ من صوان
هاتى فؤادى واتركينى خاليـا ... أو بادلينى بالهوى الروحانى
يهنيك أنك فى الحيـاة سعيدة ... يهنيك أنك قد ملكت جنـانى
ويحى ، أأطلب ودها فتصدنى ... وأنا الذى بين النجوم مكانى
سحقا لهذا الحب ، بعدا للتى ... ظنت هـواها مشعلا نيرانى
فأنا العـزيز ، أنا المنيع أنا ... الذى لا يعتدى حب على سلطانى

حلم لذيذ

حنت على بنظـرة استملاح ... وغدت تبادلنى كؤوس الراح
حتى ثملت فما عرفت أنشوتى ... من ثغرها أم من سنا لأقداح
حـورية لو أنهـا مرت على ... دار الجريح غدا بدون جراح
حسناء قد زان العفاف جمالها ... طهرا فصارت فتنـة الأرواح
حلت بقلبى واستحلت من دمى ... ما لا أطيق بلحظها السـفاح
حاولت أن أخفى هواها فى الحشا ... ولبثت أعواما رهين كفاح
حملت على إذا بسحر سكوتهـا ... وأنينهـا وبطرفهـا الفضاح
حار الفـؤاد ولم يجـد بدأ له ... من أن يبـوح بعبرة ونواح
حرمت جفونى من لذيذ منامهـا ... وجرى مسائى باسمها وصباحى
حسن ولكن هـل لصب ساهر ... أن يستنير بوجههـا الوضـاح
حلم لـذيذ لا أزال أريده ... يارب حققه بوصل « وشاح »

الرقيب العانى

آواه من عين الرقيب العـــانى ... منهـــا حيـــاتى أشتكى وأعانى
أنى ذهبت إلى الحبيب بناظرى ... أجـــد الرقيب بعينه يلقـــانى
فأغض طرفى رغم ما أنا حامل ... من لوعة وأعيـــده لمكانى
قلبى وقلبك يا رقيب معذب ... ممـــا دهاك من الهوى ودهانى
حبى لغيرك ، أنت أدرى بالذى ... أهوى ، وإنك رغم ذا تهوانى
إن كان حبك لى أمينا صادقا ... فرضاى أن تسلو وأن تنســـانى
هـــذا قضاء الله ، أنت تحبنى ... وأنـــا أحن إلى حبيب ثـــان
مهما فعلت فليس لى من مانع ... عن حبه عمـــرى ولا من ثان
حبى له حب شريف صـــــادق ... أين المجون من الهوى ،فروحانى
حبى له حب نزيه طـــاهر ... حب يـــكون فى القـــرآن
فابحث عن القلب الخـــلى لعـــله ... يلقـــاك بالبشرى وبالتحنان
تلهيك عن حبى لديه عواطف ... ممـــزوجة بتلهف وحنـــــان

غادة الريف

نامى هنيئـــا فى فراشك نامى ... فهراك رغم نواك عندى نام
هل تشعرين بما ألاقى من جوى ... أو تعلمين بلـــوعتى وهيـــامى
قضيت عمرى فى غرامك صابرا ... واليوم ضاعت فى الهوى أحلامى
أبكى فؤاداً ضاع منى فى الهوى ... أبكى بدمع فوق خدى هـــام
يا من رغبت عن الحياة لحبهـــا ... وســـلوت كل تنعم لغـــرامى
وقبلت سكنى الريف كى أحظى بها ... ولكى أراها صحبة الآرام
وأعلل الطرف القـــريح بحسنها ... وأشنف الآذان بالأنغـــام
وأصبر القلب الجريح بقربها ... وبقرب ما أرجو على الأيام

وكتمت حبي لا أبوح لهـا به ... وصبرت رغم تكاثر الآلام
وحملته فردا وعشت معـذبا ... هلا رثيت لوحدتي وسقامي
والليل أبعث فيه من حرق الأسى ... نارا تذيب شـواهق الأعلام
وأراقب البـدر المنير إذا بدا ... أو غاب مستترا وراء غمـام
وأسرح الطرف الحزين فلا أرى ... حولى سوى حقل من الأوهام
قلبي يذوب وأنت قلبك جامد ... رحماك يا ذات المقام السامى
أشكوك بل أشكو إليك صبابتى ... شكوى محب ، من فؤاد دام
يأيها المـلأ الكرام ألا انظروا ... أهل الخصام هم هم حكامى
يكفيك منى حبك مـالكى ... وسواك من أهل الهوى خدامى
يكـفيك منى أننى لك مخلص ... مهما تعالى فى الحياة مقامى
مهما بعدت عن العيون فان لى ... عهـداً أحقه على الأعـوام

أعينا على قلبي

أئن ولكن هل أنينى واصل ... إليها ، وهل مما أعانى يعـبر
أحن ولكن هل حنينى فى الدجى ... يسير إليهـا خلسة ويذكر
وداعا لعهد كنت فيه منعما ... بقلب خلى ليس بالحب يشعر
وداعا لعهد كنت أقضيه هادئا ... قريرا، وممن يدعى الحب أسخر
وداعا لعهد كان كالحلم فى الكرى ... وما كنت فى وصل الغوانى أفكر
وما كنت أدرى ما الغرام وذله ... وقد كنت ذا عذل فأصبحت أعذر
فقـولا إذا أهلا وسهلا بعاشق ... جـديد يسرى همـنا ويصبر
يبوح لنا بالوجد من بعد عذله ... وبالدمـع يملى عبرة ونسطر
ويشكو لنا ممـا أصاب فؤاده ... بمعنى جديد فى ربى الشعر يزهر
نعـم هيثا لى فى النسيب أرائكا ... ومتكئا فيـه أئن وأزفـر

فلا الشعر مجدلى إذا كنت ظالماً ... ولا الدمع كاف للذى آنا أنشر
أعينا على قلبى بحزم وحنكة ... لأبقى حياتى للمعينين أشكر
وقوما إلى دار الحبيب وبلغا ... سلامى إلى من صار للحب ينكر
وقولا لها مهما تولت وأدبرت ... فإنى لها عمرى أحن وأذكر
فإن عشت لا أرضى سواها وإن أمت ... فما الموت إلا بالمعذب أجدر
وما ماتت الروح التى مسها الهوى ... وإن هوانا فى المحبين ينـدر
وإنى سألقاها غدا ، وجهنم ... أشد لهيباً من هواها وأكثر
فتطلب ، منى والمليك مناصرى ... حنـانا وعما قدمت لى تكفر
أحن إليها رغم ما كنت حاملا ... وربى لضعفى سوف يعفو ويغفر
وأحظى بجنات النعيم ووصلها ... وتقبيلها قوتى ، وللشرب كوثر

بحثت

بحثت فلم يجد قلبى سـواها ... فأقبل طالبـا منها هـواها
فلما آنست منى خضوعاً ... أصابتنى بسهم من نواهـا

أجيبينى

هبينى ما عرفت الحب لكن ... رأيت بوادر الإخلاص فيك
فهل أخطأت فى تسليم قلبى ... وهل لى فى فؤادى من شريك
وهل كان اختيارى فيك ذنبا ... أجيبى يا سعاد عملء فيـك
أجيبينى فقد طال انتظـارى ... أى حبى شكوك تعـترينك
فلولا ما أعـانى من رقيب ... لكنت إذا بآهـاتى أريك
أحبك من صميم القلب لكن ... كتمت هواى عنك وعن ذويك
وقلت لعاذلى دع لى فؤادى ... فيس له سواها من مليك

ناديت

ناديت لما ذوى جسمى من السهر ... ولاح نور على الأغصان فى الشجر
أكوكب الصبح يبدى نور طلعته ... أم تلك محبوبتى جاءت على قدر

لمـاك

لمـاك خمور العشق وهى منيعة ... وريقك يشفى مغرما ومتيما
هواك سماء الحب وهى رفيعة ... وكيف لمن فى الأرض أن يطلب السما
وشمسك شمس الحسن وهى بديعة ... لهذا فؤادى بات ولهان مغرما
وقلبك مثل الصخر لا يرتجى به ... حنان، فما أرضاى لو كنت حازماً

الشعرة البيضاء

ودعت بالدمع أحلامى وآمالى ... لم يغن عنى لا جاهى ولا مالى
ولى الشباب فلم أهنأ بلذته ... وأقبل الشيب مصحوبا بأهوال
دب المشيب برأسى فاهتززت له ... من روعة، وذكرت الموت فى الحال
فيا خيوط الأسى قد زدتنى فاصلة ... فأجملى إننى أصبحت ذا بال
وقفت بين فصول العيش فاصلة ... كأنك الحد بين المر والحـالى

بيض ظواهرها، سود بواطنها ... تفتر مشرقة عن غارب صال
رأيتها فى سواد الشعر ظاهرة ... فذكرتنى نفور العاشق السالى
يوم اجتمعنا وكان الكأس ثالثنا ... فما شربنا سوى دمع على الخال
لما رأى الشيب فى رأسى ولم أره ... بدا عليه لشخصى بعض إهمال
فما عرفت لهذا الهجر من سبب ... وخلته خائفاً من كيـد عذالى
لكنه قال لى والغيظ يملؤه ... إليك عنى فمالى والهوى مالى
إليك عنى فقد طال الزمان بنا ... وألسن الناس فى قيل وفى قال

أنا

بك كل ما يصبو إليه الناظر ... وعليك حراس العيون تحاذر
لا تعذليني فى هواك فإنمـــا ... أنا فى هواك مجاذف ومخاطر
أنا مخلص ، أنا صادق أنا حافظ ... للعهد ، مهما تهجرينى صـــابر

هى

حن الفؤاد إلى شجو الأغاريد ... وبت أشكو الهوى للخرد الغيد
مهما بلغت من الدنيا وسؤددها ... لا أستقر أمام الأعين السود
يالائمى فى هواها والهوى قدر ... خفف فلومك عندى غير محمود
دعنى أناجى حبيبى دائماً أبدا ... دعنى أردد جمال القد والجيد
هى النعيم ، هى الدنيا وزخرفها ... هى السراب لمن قد ضل فى البيد
يحن قلبى إليها كلما خطرت ... غزالة أو شجى طـــير بتغريد
وحسنها ملك العشاق كلهم ... وفاق ملك سليمان بن داود
سألتها أن تراعينى برحمتها ... وأن تجفف فى خدى أخاديدى
فالقلب أصبح منهم ومن حرق ... يذوب حزناً عليه كل جلمود

أحقا . . ؟

على صفحات الماء أرسلت لوعتى ... أنينا وأفشيت الكمين من السر
وكنت وكانت لا رقيب على الهوى ... ولا ما تعاهدنا به غير ذا البحر
فلما تعاهدنا وأمسكت كفها ... بكفى بدا ما كنت أجهل من أمر
بدا حبها فى عينها وتنهدت ... وقالت : أحقا قد صبرت على الصبر
أحقا قضيت العمر ولهان هائماً ... بحبى رعاك الله من عاشق حر

قالوا ..!

قالوا غداً تبدأ الأفراح والعيد ... فقلت حقاً فأيام الرضا عيد
ما العيد يطربنى إلا بحبك لى ... ولا بغيرك تشجينى الأناشيد

أهنأ فؤادى ..

اهنأ فؤادى بصفو عاطر آت ... وانشر نشيد الهنا من بعد آهاتى
اهنأ فؤادى بمن باتت تبادلنى ... بعد النفور وطول الهجر قبلاتى

توشيح

أنا المغرم الباقى على حبه أنا ... ولوان قلب الغير قد مال وانثنى
سواء بلا ذنب أم القلب قد جنى ... فليس له سوى وليس له غنى

* * *

فردى إلى قلبى هدوءاً سلبته ... وردى إلى جفنى نعاساً نهبته
وردى إلى عقلى رشاداً أضعته ... فإن حياتى أصبحت كلها مُنَّى

غروب الشمس

خرجت يوماً وكان الجو معتدلا ... والشمس زادت جمالا فوق مافيها
ولم يكن قط من خل يؤانسنى ... غير الكتاب وأرواح أناجيها
حتى انتهيت إلى روض وجدت به ... حلو الفواكه عاليها ودانيها
به عليل إذا ما مر مبتهجاً ... على عليل شفى فى النفس داميها
والشمس عندئذ ألقت ملابسها ... وأرسلت شعرها من فوقها تيها
كأنما تعبت من طول رحلتها ... فرامت النوم والدنيا تناديها

توسدت بجنوب الأفق واتخذت ... من السماء سريراً بات يطويها
وأوحشت بعدها الدنيا وما فتئت ... كل الطيور على الأغصان تبكيها
أخذت أمشي وكان الليل يتبعني ... بظلمة كسواد العين تشبيها
بظلمة حفها نور فقد جلست ... كل الكواكب في أعلى كراسيها
أما المدينة فالأنوار تملؤها ... والكهرباء تجلت في نواديها
والبدر قد زادها نوراً بطلعته ... لذلك قد حار وصفي في معانيها

يا حمام

إن كان دينك يا حمام كديني ... أو كنت تشكو من فراق خدين
أو كنت تذكر في الدجنة غائبا ... فامزج أنينك في الدجى بأنيني
وتعال نكس الليل من نسج الجوى ... ونبث شكوانا لكل حزين
ونحيك من ذاك الظلام على الندى ... ثوبي حنان أو ثياب حنين
انا اتفقنا في الشجون لحكمة ... ولهمنا أبكيك أو تبكيني
وإذا تناجينا فذاك لعلة ... هي أنني أرضيك أو ترضيني
نح ياحمام أنح فشجوك في الدجى ... أصلى فؤادي واستدر شئوني
واصدح فصدحك في الدجى ترجيعه ... مما يحرك لوعتي وشجوني
لا تخف عني من جواك ولا تخف ... واعلم بأني لست بالمفتون
بح بالجوى في الليل غير محاذر ... مني فلست أخون غير خؤون
يهنيك أنك لم تصادف شامتا ... أو عاذلا في الهم غير أمين
أو من يصيبك ناقماً بلسانه ... يوماً وأنك في الوجيعة دوني
تبكي هناك على رهين أزاهر ... يختال بين جداول وغصون
تلقاء أني شئت في تلك الربى ... وأنا بكاي على رهين سجون

حوار شعرى

قال شاعر فى والده الذى سجن ظلما :

يا صاحب السجن حبس الوجد فى كبدى ... فرض على وحبس السم فى غددى
هات اسقنى نكد الأيام مختلفا ... فإن من نكدى بعدى عن النكد
أجريت أسود ما فى السحب فى أفقى ... ظلما وكحلت عين الصفو بالرمد
فبت أنكر أرضاً قد ولدت بها ... وأنكر القوم لا ألوى على أحد
لم أدر أى الورى أهلى فأقصدهم ... إذا فزعت ولا أى الحمى بلدى

فرد عليه الشاعر فؤاد قائلا :

يا صاحب السجن حبس الوجد فى كبدى ... من هوله دبت النيران فى جسدى
كأنما الهم أسقاه وأحفظه ... فرض على وحبس السم فى غددى
هات أسقنى نكد الأيام مختلفا ... واجعل رحيق الأسى من أدمعى الجدد
انس الحنان وزدنى من كوارثها ... فإن من نكدى بعدى عن النكد
أجريت أسود ما فى السحب فى أفقى ... فبت فى ظلمة الدنيا بلا عضد
وزرت بعد طويل العمر مظلمة ... ظلماً وكحلت عين الصفو بالرمد
فبت أنكر أرضاً قد ولدت بها ... لما ترحلت عنها غير متئد
وبت أنكر نفسى بعد معرفة ... وأنكر القوم لا ألوى على أحد

لم أدر أى الورى أهلى فأقصدهم ... من بعد سجنك حتى ضل بى رشدى
كذاك لم أدر أى الناس أطلبهم ... إذا فزعت ، ولا أى الحمى بلدى

سؤال : ما بال سود السحب ممطرة وأبيضها جهام
أفليس معنى ذاك أنا لا نغر بالابتسام

جواب :

ما هـذه الأمطـار إلـ ا من دموع ذوى الغرام
سالت على جسم يكا د يذوب من حر الهيام
فتبخـرت وتصاعدت وبدت فقلت هى الغمام
أمـا السـواد فإنه رمز المدامع فى الظـلام
حفظتـه فى تكوينها سحبا وحاكته فـدام
حـتى إذا ألفت حزينـا بائسا أو مستهـام
شـقت عليه ثيابهـا وتدفقت تشـفى السقام
إن لم يصب منها الشفا منه على الدنيا السـلام
كل ينوح ولا يبـو ح وقد أصابته السهام
فـتراه يبسم والفـؤاد يذوب من هول الغرام
صدق الذى وفى المعـا نى حقها عند الكـلام
أوصى بقـول حـازم ألا نغـر بالابتسـام

فى النجم

سؤال : مابال بعض النجم يسهر فى السـماء على اطراد
أتراه قاسمنى الهمـو م فبات مثلى فى سهاد
أم مغرم بعدت أحبتـه فسهـده البعـاد
أم قـائم فى ليلـه بحراسة «السبع الشداد»
أم عنده الميـل الشديد إلى مطالعـة العبـاد
ليرى الفضيلة والفضو ل وأى نوع فى ازدياد

جواب : يا سائلى فى النجم صبرا إننى فيه لجاد
واقبل جوابى راضياً أأساء وصفاً أم أجاد

* * *

ما النجم إلا دمعة من عاشق حرم الرقاد
حيرى ترقرق فى العيو ن فلا تسيل ولا تعاد
ولأنها من عاشق لبست سواداً فى سواد
أفلا ترى نجم السما ء يحيطه رمز الحداد
فيه معان للحزين وكل عان فى العباد
سل عنه من عرف الهمو م ومن لها ألف السهاد

* * *

أو قل فهذى درة فى صدر محبوب الفؤاد
سطعت عليه فى الدجى فأثارت السبع الشداد
فضياؤها وصفاؤها رغم العوازل فى ازدياد

* * *

أو قل فعين الحق تبصر كل شىء فى البلاد
وتراقب الإنسان من أيام قابيل وعاد
فترى الفجور مجسما فينا وقد عم الفساد
حتى إذا نظر المسى ء لها تولى للرشاد

* * *

ما النجم إلا آية لـ ذوى المفاسد والعناد
يا نجم معذرة إذا قصرت أو جف المداد
واقبل تحية مخلص ما دام فى الأغصان شاد

فى اصفرار الشمس عند الغروب

سؤال : ماذا تراه فى اصفرار الشمس فى وقت الغروب
أمن النوى تصفر أم تصفر خيفة أن تؤوب
أم أنها اعتلت بما اط لعت عليه من العيوب
جواب : إن اصفرار الشمس من هول المصائب والكروب
ولما تشاهد حولها صبحا وفى وقت الغروب
فهنا رهينة شهوة وهناك مفتون لعوب
ولأنها «أنثى» تو د لو انها ليست تؤوب
حيث النساء محملا ت بالخطايا والذنوب
بعن العفاف ضلالة وتبعن شهوات القلوب
ولذاك يشحب لونها وتئن من وقع الخطوب

فى الحب

سؤال :

لى فى المنازل غصن أدمعى ثمره سهرت فيه وفى غير الهوى ثمرة
موزع القلب ، لم أحكم عواطفه وحدى لذلك أهواه وأحتقره
تغنى صباح وصالى ثم ألبسنى ليلا من الهجر لا أدرى متى سحره
فهل لقلبى دواء يستعين به أم لا دواء لصب داؤه قدره

جواب :

عاتبه يا صاح فى رفق وفى دعة واذكر له ما مضى إن كان يذكره
وانظم نه باقة من زهر قافية فقد يرق لمعنى أنت تبتكره

فإن تمادى فلا تهلك عليه أسى ... بل اكتم الجرح حتى يمحى أثره
فلست أول روض طار بلبله ... ولست أول برج خانه قمره

قال شاعر :

يمينا لا أقول الشعر عاما ... وإن ملت قوافيه الفطاما
مشى بى هكذا يا قوم خلفا ... وكنت أظننى أمشى لماما
فلم أدفع به فى الدهر غرما ... ولم أجلب به إلا غراما
أسال عواطفى فى عهد قوم ... يرون جمود أنفسهم لزاما
وتغريد البلابل فى رياضى ... يبسن ، أعده شيئا حراما

فرد الشاعر :

رجوعا إلى العهد القديم فإنما ... يحن إلى العهد الحميد حميد
أتهجر شعرا لم تسؤك بحوره ... ولكنها تأتيك حيث تريد
ترفق « هداك الله » وانظمه ثانيا ... تجافيكما عاما على شديد
وهب « ظبية الوادى » أتتك مع الدجى ... لتبدى لها شكوى الهوى وتعيد
أكنت تجيبها بغير قصائد ... كأجياد غيد فوقهن عقود
سواد بعينيها « بياض بقلبها » ... حداد بجفنيها ، أأنت حديد

قال شاعر :

يا فؤاد المجد هيا ... هات شعرا ، لا حميا
إن قلبى اليوم ظام ... لا تؤخر عنه ريا
أسقنى حتى ترانى ... أنثنى نشرا وطيا

صف أنيني أوحنيني صفهما ، لى ، أو عليا
ميت فى ثـوب حى من نفوذ الهم فيـا

فرد الشاعر :

يا صديقا لى وفيـا وأديبـا عبقريـا
رب إنسـان حزين بات للنجـم نجيـا
حسـدوه وعجيب يحسد الخالى الشجيا
خذ ثنائى ، لاعزائى ، وهو أغلى ما لديـا
إن تكن ظمآن يوما فاتخذ شعرك ريـا
تجـلد يا خليـلى ودع البال خليـا
واترك الأيام تفعل بك ما شاءت ، رضيا
مت أمام الدهر جسما واحفظ الوجدان حيا

تحت ستر الظلام

أيلذ لى يسرى وغيرى معسر ويطيب لى نومى وغيرى يسهر
وأبيت ما بين الحرير منعما وسواى يفترش التراب ويصبر
سبحانك اللهم ، إنك مالك للملك تعطى من تشاء وتقدر
وتعز أقواماً وتبسط رزقهم وتذل قوماً آخرين وتفقر
كم تحت ستر الليل من متوجع يشكو الهوان ، وناعم لا يعذر
كم بائس نضبت موارد رزقه يتلمس القوت اليسير فيندر
وابن الرخاء ممتع فى ماله وتراه نشوانا يتيه ويفخر

كم ولد يبكى لفقد عزيزه والرأس بين يديه وهو يفكر
وأمامه أم يمزق صدرها وجد عليه ، وقلبها يتفطر

ورضيعها يبكى ويطلب ثديها والثدى يجمد والمحاجر تمطر
بالأمس قد دفنت شباباً يانعاً واليوم من جوع لطفل تقبر
وتحملت ألم الفراق وناره طمعاً بأن صغيرها قد يكبر
وترى الصغير معذباً فى حجرها وترى رسول الموت أقبل ينذر
فكأنما سبعاً رأته فاغرا فاه ليبتلع الصغير ويدبر
صرخت وضمت طفلها فى صدرها وأبوه حيران إليها ينظر
جعلت رداء صغيرها من زندها وفراشه صدراً يئن ويزفر
كف الصغير عن البكاء فأقبلت بحنانها عن حاله تستفسر
فرأته فى نوم عميق غارقاً فمضت توحد ربها وتكبر

كم من يتيم بائس متألم مل الحياة وعينه تتفجر
ويقول ياراه إنك صادق والقول عند الله لم يتغير
فأنا يتيم بائس ومعـــذب فلأى ذنب فى حيـاتى أقهر
وإذا سألت الناس (قرشا) واحدا ألفيتنى عنـه أرد وأنهـــر
كم بعد فقد أبى شريت مرارة ومصائبى فى كل يوم تكثر
أصبحت غصنا فى رياضك ذاويا وسواى من مزن هتو، يزهـــر

دع الحرير

دع الحرير وجدد عهد من ذهبوا فليس ينفعنـــا مال ولا ذهب
وساعد الناس تســعد فى ظلالهم واحذر من الدهر إن الدهر منقلب
واعلم بأنك مهما عشت من زمن فإن سيف المنايا منك مقترب
فلا تكن شـــامتا فيمن أصابهم ضيم الزمان، ولا من فى الدنا نكبوا

أين الملوك الألى كانت جيوشهم ... يدك «رضوى» لها هولا ويضطرب
أين « نيرون » لما قام من عجب ... يقول «روما» فدائى .. وهى تلتهب
وأين «خوفو» و «مينا» أين «منقرع» ... لم يغن ما لهم عنهم وما كسبوا
وأين سعد . فقد كانت لطلعته ... تهتز مصر وفى أقواله اللهب
أين الخليفة قد ضاعت خلافته ... أين البدور وأين الشمس والشهب
الكل فى فلك جار ، فمطلعه ... تلك الحياة وعنها سوف يغترب
لم يبق منهم سوى ذكر يخلدهم ... وفى القلوب لهم من بعدهم نصب
فمن أساء فإن الناس تمقته ... فحسن الذكر فى الدنيا بما تهب
إن لم تكن واهبا ما لا فهب عملا ... فإن ما يعمل الإنسان محتسب
واعطف على كل منكوب وذى ألم ... ولا تلم من قد مسه العطب
فالله قد أعطاك فى الإحسان أمثلة ... فى حبة أنبتت حبا ألا تثب
فى النار يحمى على مال الألى بخلوا ... وإن أجسامهم فيها لها حطب
فراقب الله فيمن ضاع كدهم ... وهل بنير حظوظ ينفع النصب
واستغفر الله إن الله مطلع ... على القلوب ومنه يبلغ الأرب

فى الرثاء

قال يرثى المغفور له عمه « يوسف بك أحمد » وكان يكن له من عميق الحب والإخلاص ما تلمسه فى مراثيه له — عليهما رحمة الله .

وذلك فى الليلة الثالثة من ليالى المأتم ٢٩ يونيه سنة ١٩٣١م

أيا عين بكى لى حبيبا جفانيا ... ويا طرف صب الدمع أحمر قانيا
ويا قلب صبرا ذاك خطب ألم بى ... ويا عين داوى بالدموع فؤاديا
ولا تجمدى يا عين وابكى محاسنا ... تداعت ، وعجدابات فى الترب ثاويا

ألا أيها « العم » الذى بات نائيـا ... وقوفا بدار الخلد : واسمع ندائيا
وقلبك فاسأله عن البعد والنوى ... وما إن سكبت عيناى ممـا دهانيـا
تركت صغاراً فى حـداثة سنهم ... يعانون فى الدنيـا هموما عواتيا
وغيرت وجه الكون حين تركتهم ... وصيرت أيام الحيـاة لياليـا

وقال يرثيه فى ليلة الأربعين :

حنانيك يادهرى وحسبك ماجرى ... ورحماك أن القصر أقوى وأقفرا
سقام وتعذيب ، وموت ، وفرقة ... ويتم ، وتخريب ، ومجد تدهورا
فكم شدت بنيانا وأفنيت آهـلا ... ودمرت معمورا ، وعمرت مقفرا
وأعليت أقواما وأسقطت غيرهم ... وحطمت تيجانا وأذللت قيصراً
وكنت إذا ما جئتنى بمصيبـة ... أحاول أن ألقى المصاب فأصبرا
فلما دهانى موت « يوسف » فجأة ... عصانى فؤادى واستدر المحاجرا
فصرت أناجى ساكن القبر هالعـا ... وأبكى دما حتى بللت به الثرى
ففـاح ثرا ، عاطرا بثنـائه ... إلى أن حسبت الترب فى القبر عنبرا
وكنت إذا ما جئته متظلمـا ... رجعت قرير العين للفضل شاكرا
لقد كان قواما على الحق قادرا ... وكان على رد المظالم أقـدرا

عرفت به عمـا حنـونا ووالدا ... رحيما ، يصد الخطب عنى إذا اعترى
كريما على بأس الزمان وجوره ... صبورا إذا ما الدهر ولى وأدبرا
فخـورا بأهليه يحب علـوهم ... قريرا بما يلقى ولو كان جائرا
يحن إلى ذكر القـديم مفاخرا ... ويذكر عهـدا للأوائل مزهـرا
ويروى أحاديث الجدود و مجدهم ... وما كان يلقى من طريف ومايرى
فكنت أغذى النفس من عذب قوله ... واشتاق للعهد الذى قد تعطـرا

فكيف أسلى النفس بعـد فراقه ... وأخفى جوى بين الضلوع تسعرا
وكيف أزور البيت بعـد مماته ... ومن ذا الذى ألقاه فى البيت ياترى
كأن الثريا فيـه يوم تركتـه ... دموع الأسى سالت على الأرض أنهرا
وفاضت ولكن لا بنور وإنمـا ... بدمع سخين شـق طرفا وناظرا
أبى الدهر إلا أن تفارق منزلا ... جديدا وقصرا فاق حسنا ومنظرا
أصبت فلم تهنأ به مذ بنيتـه ... ومت حزين القلب يا عم محسرا

وكنت أظن الحطب فى الأهل وحدهم ... فألفيته قـد عم أهلا ومعشرا
لذكراك تبقى فى النفوس وإن تمت ... فإنك أحرى أن تحيـا وتذكرا
فكم علت منكوبا وبردت غلة ... وأنصفت مظلوما وأغنيت معسرا
وواسيت مكلوما وخففت عـلة ... ونورت جوا بعدما كان أغبرا

ذهبت لتوديع « الشقيق » مخاطرا ... وقد كنت أحرى أن تعافى وتعذرا
ولكن إخلاصا بقلبك كامنـا ... فلم ترض النصح واعتزمت مسافرا
صعدت على ظهر السفين مودعا ... وعدت على أيدى الرجال مجبرا
ومضيت حولا فى الفراش معـذبا ... إلى أن دعاك الله قمت مبـادراً
وكم كنت ترجو أن تعافى من الردى ... ولـكن أراد الله ألا تعمـرا
وكنت تمنى النفس بالنوم سـاعة ... لتنسى عذاب السقم فى غشية الكرى
فلا النوم وافى مذبليت ، ولا انجلى السـ ... ـقام ، ولا طب أفاد وأثمـرا
ولمـا بدا عجز الطبيب ويأسـه ... وأصبح وجه البين فى البيت مسفرا
نظرت إلى الباكين حولك باسما ... وأغمضت عينا واحتسبت مغادرا
أبى الله إلا أن تموت مطهـرا ... لتحظى بجنات النعيم وتظفـرا
فحسبك أن الله أولاك رحمـة ... وحلاك بالتقوى وأعطاك كوثرا

ففى جنة الفردوس تبقى ممتعـــا وتلقى بها ما لا يباع ويشترى
وتسكن قصرا فى النعيم بنيتـــه من البر والإحسان مستشرف الذرى

فلا تحـــزنن واعلم بأنك تارك «شقيقا»(١) سيبقى «للعزيزين»(٢) ناصرا
سيلقاهما من بعـــد موتك والدا ويرعاهما حتى يشـــبا ويكبرا
فنجلاك نجـــلاه وقصرك قصره وأنت عزيز القوم سرا وظاهرا
« وإن ورث الآباء أبناءهم غنى » فقد ورثا عنك البشاشة والقرى
وقد ورثا عنك الصفات حميدها وقد ورثا حبا من الناس نادرا
فنم فى جوار الله واهنأ بخلده ودعنى أعانى الوجد بعدك ساهرا
وها هو(٣) تو ديعى ببأس وحسرة وأنه محزون على البين أجبرا
ففى ساحة القهار ودعت يوسفا وللواحـــد الغفار أمسى مجاورا

وقال فى ذكرى مرور عام على وفاته :

أمن ساحة الدنيا إلى ساحة الخلد أناجى عزيزا غاب عنى بلا عمد
وهل بعد ما مرت شهور طويلة سيسمع لى قولى ويشفق من وجدى
سأذكره مهما تولت وأدبرت سنون ، وأبكيه على القرب والبعد
وأروى مزاياه لرفعة شـــأنه وأنظمها كالدر ، عقدا على عقد
وأبذل جهدى فى اكتساب رضائه ليبقى قرير العين فى داخل اللحد
وإن كلّ متنى أو عجزت بمنطقى سأنشر ذكراه ، دموعا على خدى
وأبقى مدى الأيام عونا لأهله حريصا على الحب الكمين له عندى

---

(١) يقصد شقيق الفقيد السابق الذكر محمد باشا أحمد .
(٢) هما نجلا الفقيد المرثى ، أحمد وعبد القادر يوسف .
(٣) على مذهب من يقول : فها أنا تائب عن حب ليلى .

ليعلم أنى كنت بعد موته ... وفيا أمينا مخلصا صادق الوعد
فتى كان مقداما غيورا مجاهدا ... سليل المعالى قادرا قاطع الحد
وشيخا وقورا كاملا ومهذبا ... لطيفا لدى أهل المحبة والود
يلبى نداء المستجير بفضله ... ويبذل فى إرضائه غاية الجهد
ويرفع من شأن البلاد وقدرها ... ويفخر بالأهل النوابغ ، والجد
ويصبح بين الأهل سهلا ولينا ... وعند لقاء الند يمسى بلا ند
وعاشرته حتى عرفت مكارما ... وشاهدت أوصافا حسانا بلاعد
وقدفاح فى « بلقاس » عاطر ذكره ... وفاق على عطر البنفسج والورد
ولاح على « بلقاس » من نور وجهه ... ضياء كبدر التم فى المنزل السعد
سيبقى على الأزمان ذكرا مخلدا ... ويبلغ يوم الملتقى غاية القصد
ويحظى بجنات النعيم وصفوها ... ويسقى بها خمر ألذ من الشهد
أترضى رجوعا للدنا ، يا «ابن أحمد» ... فتشبع أهل الأرض باللوم والنقد
وتنقى عزيز القوم قدهان بعدما ... تربع أعواما على ذروة المجد
وتبصر أعراض الرجال جريحة ... وتنظر كلبا ، قد أغار على أسد
وتشهد فى الدنيا أمورا تغيرت ... وتلقى بها المولى ذليلا لدى العبد
وقد عم أهل الأرض سخط وذلة ... من الفسق والألحاد والدس والكيد
فوالله إنى لا إخالك طالبا ... رجوعا ، ولا ترضاه فى ذلك العهد
فحسبك أن الله أعطاك جنة ... لتبلغ فيها ما تريد بلا كد
وفى جنة الفردوس تلقى جواريا ... يفقن غصون البان فى رقة القد
وتختار من بين الحسان كواعبا ... فتنسى رضا هند وتنسى هوى دعد
فقد كنت فى الدنيا تحب متاعها ... وتبسم للوجه الجميل من المهد
وقد كنت تحيا بالسعادة رافلا ... وإنك أنت الآن فى غاية الرغد

وقال وقد تذكر المرحوم عمه يوسف باك أحمد عندما كان يمر باحدى مزارعه وقد رأى الخص « الكشك » الذى كان قد أعده المغفور له للسيد :

ذكرى الحبيب تهيج الأشجانا ... ذكرى «ابن أحمد (١) غاب عناوبانا
فالقلب قد عقد اللسان من الأسى ... والدمع أفصح منطقا وبيانا
ماذا أقول وقد فقدت بشاشة ... من بعده ومحبة وحنانا
ماذا أقول وقد دفنت عزيمة ... كانت أحد من السيوف سنانا
ماذا أقول وقد عدمت بموته ... رجلا أشد من الحديد جنانا
أبكيه ثم أقول من حزنى له ... هان العزيز بموت يوسف هانا
مضت الشهور على فراقك « يوسف » ... وكأن يوسف عندنا ماكانا
وسلاك غيرى من « عشيرة أحمد » ... وبقيت وحدى لاأرى سلوانا
فلأ ذكرنك ما حييت مرددا ... آيات صنعك فى البلاد حسانا
ولأرفعنك ما بقيت مثابرا ... ولأمدحنك ما وجدت لسانا
ولأنظمن قلائدا تسمو بها ... وأخلدنك ما وجدت بنانا
ولأحفظن العهد عهدك « يوسف » ... فأريك أنى لم أكن خوانا
يا ساكن القبر البعيد ، وذكره ... بين الجوانح قد أعد مكانا
مهما بعدت عن العيون فلاتخف ... عهد القلوب نزيده ليصانا
قل لى أترضى أن تعود إلى الدنا ... وتودع الجنات والرضوانا
فترى الحياة بذلها وهوانها ... وترى النقائص فى البلاد عيانا
وترى الفجور مجسما ومعظما ... وترى المصائب حولنا ألوانا
وترى البلاء على البلاد مخيما ... قسما بمن جاورت ما أشقانا

---

(١) هو عمه يوسف أحمد .

والله ، قد صب الشقاء على الورى ... لم يخل إنساناً ولا حيواناً
حتى الطيور على الغصون كئيبة ... وتنكس الأزهار والأغصان
حال من البؤس الأكيد رأيته ... أفنى الشيوخ وحطم الشبانا
وبكى الرضيع لجوعه ، وتولهت ... أم فلم تبصر لها معوانا
فالفقر قد عم البلاد جميعها ... وكسا الرجال مذلة وهوانا
يهنيك أنك فى السماء مكرم ... يهنيك أنك مفعم إيمانا
فادع المليك يفض علينا خيره ... ويصب فينا البر والإحسانا
واهنأ بجنات النعيم فانها ... ضمت إليك الحور والولدانا
وانعم بما فيها وقر بحسنها ... واقض السنين ممتعا نشوانا
واصبر إلى يوم النشور وعنده ... تلقى الرضا والأهل والأخوانا
واقبل تحية مخلص لك غابط ... لو يستطيع لصاغها قرآنا

وقال يرثى المرحوم خاله « توفيق بك شهاب الدين » وذلك فى ليلة المأتم الثالثة أول يوليو سنة ١٩٣٢ :

أعيدى على سمعى حديث الأوائل ... وصبى على دمعى دموع الثواكل
وقصى علينا آية من جدودنا ... لنعرف أخبار الرجال الأفاضل
وقولى أنا الدنيا ، أعز ذليلكم ... وأشقى عزيز القوم من غير حائل
وأرفع أقواما وأبسط رزقهم ... وأُسْقِطُ من أوقعته فى حبائلى
وأدفع عن أهل التقى كل ذلة ... وأمنع عن أهل الشقا كل نائل
وأعطى لمن أعطى نعيماً مخلداً ... وللغير لا أعطى ولو كان سائلى

ولكن أهل الأرض عندى جميعهم ... أمام المنايا راحل وابن راحل
فلا ينفعن المرء إلا فعاله ... فكن ، عندما ترجى لها خير عامل
وها نذا ودعت « خالا » محببا ... وودعت يا « بلقاس » زين المحافل

وودعت يا «بلقاس» ركنا مخلصا عزيزا منيعا عند كل القبائل
وودعت يا بلقاس رمحا وصارما أحد سنانا من سيوف الححافل
وودعت رب الجود والبر والندى وودعت من يرجى لحل المشاكل

ففى ذمة الرحمن ياخير راحل فلم يبق فى الدنيا مقال لقائل
ولم يبق فى الدنيا نوال لطالب ولم يبق فى الدنيا عطاء لعائل
ولم يبق فيها بعد موتك مطمع لنيل العلا أو لهدم القلاقل
تفقدت كل العارفين لفضله ومن كان يرصيهم بكل الوسائل
فألفيتهم قد أنكروا كل نعمة ودلت على الإنكار أقوى الدلائل
وضنوا على «توفيق» بالنوح والرثا ولو قدروه ، لم أُتَدَّدْ بجاهل
ولكن نكرانا لفضل ونعمة وجود وإحسان وأيدعواسل(١)
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها وفاء وإخلاص وذكر لفاضل

فيا راحلا عنا عليك تحيـــة من القلب ما غنى شجى البلابل
وإن كنت قد ودعت أهلا ومنزلا ففى جنة الفردوس خير المنازل

وقال يرثيه فى ليلة الأربعين :

رويدا أيها الموت الغدور فمنك على الورى كأس تدور
شربنا فى الدنا حلوا ومرا وداعا أيها العيش الغرور
لقد مل اللسان رثاء أهلى وجف الدمع وامتلأت بحور
وقال الشعر انى لا ألبى نداءك أو يوافيك السرور
فقلت له وكيف أرى السرور وبين جوانحى جدت قبور؟

---

(١) مر الفقيد بمحنة قاسية مادية وأدبية ، فتنكر له كل من كان يعيش فى فضله .

يمين الله أيتها القوافى لأرثيه بعزم لا يخور
فلولا ما رأيت وما أراه وما جعل الفؤاد له يثور
لكنت سكت عن نظم القوافى زمانا ، أو يزينها الحبور
ولكنى رأيت الدهر ولى ومن بعد الجوار بدا يجور
وصير سيدا منا عزيزا ذليلا لا يزار ولا يزور
وألجأه الزمان إلى ذويه فآلمه من الأهل النفور
وآنس فى القصور رضا وجاها فصدته المفاخر والقصور
وعرج نحو إخوان فولوا وأضناه التباعد والفتور
فلما صار فى الدنيا وحيدا تولى شأنه ملك غفور
لئن ضاقت به منكم صدور فكم بسمت لطلعته ثغور
وكم رفع البلاد وذاد عنها فأين جزاؤه أين الشكور
رجوعا بى إلى عهد قريب به مجد « لتوفيق » كبير
به كانت لتوفيق أياد تَذَوَّقَها المعظم والحقير
به كانت لتوفيق سجايا يقررها المعاصر والخبير
له كانت تطأطئ كل رأس وكانت نحوه أمم تسير
وكان لبيته شأن عظيم وكان يؤمه الجم الغفير
وكان ولا أبالغ فى كلامى شهابا بل هو القمر المنير
هو الحصن الحصين لمن أتاه هو الملجأ إذا عز النصير
تربع فى المعالى والعوالى وكان لمجده الدنيا تشير
فلما جارت الدنيا عليه أتاه الموت وهو به قرير
فيا أهل التقى قولوا سلاما على قبر به نزلت بدور
ويا قبر الحبيب عليك منى سلام دون تفتحه العبير

* * *

المراجع

١ – ا . ا . ريتشاردز : مبادئ النقد الأدبي ترجمة الدكتور مصطفى بدوى المؤسسة المصرية – القاهرة ١٩٦٣ .

٢ – د . إبراهيم سلامة : تيارات أدبية بين الشرق والغرب الأنجلو ١٩٥٢

٣ – د . احسان عباس : فن الشعر – بيروت ١٩٥٥ .

٤ – د . أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث فى مصر من الحملة الفرنسية حتى قيام الحرب العالميه الثانية . دار المعارف القاهرة لسنة ١٩٦٨

٥ – أرسطو : كتابه فى الشعر تحقيق د . شكرى عياد – القاهرة ١٩٦٧ .

٦ – أنيس المقدسى : الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ، بيروت ١٩٥٢

٧ – حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء – تونس ١٩٦٦ .

٨ – س . اليوت : مقالات فى النقد الأدبى ، ترجمة الدكتورة لطيفة الزيات .

٩ – د . شوقى ضيف : فى النقد الأدبى ، بدار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ .

١٠ – د . الطاهر أحمد مكى : الشعر العربى المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠ .

١١ – د . طه وادى : شعر ناجى – الموقف والأداه – القاهرة ١٩٧٦ .

١٢ – عبد الرحمن شكرى : ديوان شكرى – منشأة المعارف الأسكندرية ، ١٩٦٠ .

١٣ ــ د . عبد الغفار مكاوى ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى الشعر الحديث ــ الهيئة المصرية لعامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٢ .

١٤ ــ عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ــ القاهرة .

١٥ ــ غالى شكرى : شعرنا الحديث إلى أين ــ دار المعارف .

١٦ ــ فائق متى : اليوت من تيارات الفكر العربى دار المعارف ــ القاهرة

١٧ ــ فيليب طرازى : تاريخ الصحافة العربية ــ بيروت ١٩٣٣ .

١٨ ــ كوليردج : ترجمة الدكتور مصطفى بدوى ــ القاهرة ١٩٥٨ .

١٩ ــ د . ماهر حسن فهمى : نزار قبانى وعمر بن أبى ربيعة (دراسة فى فن الموازنة) دار نهضة مصر ١٩٧١ .

٢٠ ــ محمود تيمور : الشخصيات العشرون القاهرة سنة ١٩٦٩ .

٢١ ــ محمد غنيمى هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، دار نهضة مصر القاهرة سنة ١٩٧٦ .

٢٢ ــ الرومانتيكية بدون تاريخ .

٢٣ ــ المدخل إلى النقد الحديث دار النهضة العربية بالقاهرة لسنة ١٩٦٤ .

٢٤ ــ النقد النفسى عند ريتشاردز ترجمة فايز اسكندر ــ مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

٢٥ ــ ديوان الفواديات ــ دار النشر المصرية الترجمة والتأليف القاهرة سنة ١٩٣٨ .

المراجع الأجنبية :

Augustans and Romantiés H. Dysonand Butt London 1949.

H. Clouard : Hist. de la Litt. Frané., p. 107–109.

Lyrieal Ballads by Word Sworth and Celeridge London 1991.

P. Martion; Parnasse et Symbolisme, p. 155–159.

Ph. Var Tieghem, op. éit., p. 251–264.